

المثل السائر

مبصرا ولتبتغوا من فضله) فلما قدم الليل في الذكر على النهار قدم سبب الليل وهو السكون على سبب النهار وهو التعيش .

ومن ذلك ما كتبه في كتاب تعزية وهو فصل منه ولقد أوحشت منه المعالي كما أوحشت المنازل وآتت المكارم كما آتت الحلائل وعمت لوعة خطبه فما تشتكي ثكلى إلا إلى ثاكل وما أقول فيمن عدت الأرض منه حياها والمحامد محياها فلو نطق الجماد بلسان أو تصور المعنى لعيا نلأعربت تلك من ظمأ صعيدها وبرزت هذه حاسرة حول فقيدها .

ومن ذلك ما كتبه في فصل من كتاب إلى بعض الإخوان فقلت وما زالت أيادي سيدنا متنوعة في زيادة جودها وكتابها فهذه متطولة بترقية وردها وهذه آخذة بسنة أغابها وأحسن ما في الأولى أنها تأتي متحلية بفواضل الإكثار وفي الثانية أنها تأتي متحلية بفضائل الاختصار فاختصار هذه في فوائد أقلامها كتطويل تلك في عوائد إنعامها وقد أصبحت خواطري مستغرقة بإنشاء القول المبتكر في شكر الفضل المطول وجواب البيان المختصر وما جعل لها من سلطان البلاغة ما يستقل بأداء حقوق تنقل على الرقاب ومقابلة بلاغات تثقل على الألباب .

ومما جاء من ذلك شعرا قول إبراهيم بن العباس .

(لَدَنَا إِبِلٌ كُومٌ يَضِيقُ بِهِهَا الْفُضَا ... وَيَفْتَرُّ عَنْهَا أَرْصُهَا
وَسَمَاؤُهَا) .

(فَامِنْ دُونِهَا أَنْ تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُنَا ... وَمِنْ دُونِهَا أَنْ تُسْتَبَاحَ
دِمَاؤُهَا) .

(حِمَى وَقَرَّى فَالْمَوْتُ دُونَ مَرَاحِهَا ... وَأَيُّ سَرِّ خَطْبٍ يَوْمَ حُقِّ
فَنَدَاؤُهَا) وهذه الأبيات من نادر ما يجيء في هذا الباب معنى وترتيب تفسير